الاستعدادات العسكرية . وكان الأمراء الشراكسة بعد سقوط أستراخان قد قدموا من مجرى الڤولغا الأدنى وسهوب القوقاز الشمالة الى الشمال مع كتائب كبيرة من فرسانهم للدخول في خدمة القيصر ، وهكذا فان روسيا كانت مع توسعها قد ضاعفت من قوة جيشها . وكان التسلح بالمدافع يسير في المقدمة كلما نما الجيش . « كان عندهم مدافع جميلة من النحاس وقواعد ومدافع متوسطة وصغيرة وصقور وحنشيات (انواع من المدافع القديمة) ومدافع مزدوجة وملكية ، وعندهم ستة مدافع لها قذائف طول كل منها تسعون سنتمترا بحيث يستطيع المرء بسهولة ان يتتبع مسارها عند خروجها من المدفع . كما كان لديهم عدد كبير من مدافع الهاون والفتحات الجدارية التي كانوا من طريقها يقذفون بالنار اليونانية » .

وكان إيڤان قد الغى الخدمة الاجبارية الاقطاعية التي تتم عن طريق السخرة في الجيش وفرض رسوما على التجارة والأرض كان يحبيها الملتزمون ويوردونها الى خزينة القيصر . وكانت ملكية الأرض لا تزال تجبر صاحبها واتباعه على الخدمة ولكنهم صاروا يحسبون اجر الرجل من هؤلاء ويحسمونها من الرسم المفروض على الأرض . والاقطاعات الكبيرة التي لم تكن تستطيع ان تقدم حصتها من الرجال كانت تنتقص مساحتها أو يفرض عليها غرامة لتغطية الفارق بين ما تقدمه من الرجال وما هو مفروض عليها من رسوم . ونشأت مصلحة للمساحة أصبح بالامكان عن طريقها معرفة القيمة التقديرية لعدد الجيش . وكان كل من يعمل ينال اجر عمله ، وهذا ما يفسر التوسع الكبير في القوات التي كان يتصرف بها إيڤان .

في وسط هذه الاستعدادات العسكرية الكبيرة التي كانت تتم بغية توسيع الحرب في ليڤونيا وصل الى موسكو أحد كبار المستكشفين التجاريين وهو انكليزي اسمه انتوني جنكنسون كان قد زار سوق بخارى مع أحمال من البضائع المختلفة . وثمة من يسخر من حكايات الرحالة في ذلك العصر ، ولكن انتوني جنكنسون وضع واحدا من افضل واثمن